

وما سواها (246)

صوت الحياة !! (2)



sadigalsamarrai@gmail.com

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

خامساً: الحياة تتجدد ولا تتحرك!!

التركد: من الركود

عندما كنت طبيباً مقيماً عمل معي طبيب مصري وبعد الإقامة تواصلت علاقتنا وتبادلنا الرسائل في وقتها ، وكان يرسلني من المنصورة ، وذات يوم وردتني منه رسالة يخبرني فيها بأن أباه قد توفي وزوجته وضعت طفلاً في ذات الوقت ، وعلق على ذلك ، أنها الحياة موت وولادة ، ولا يمكن للحال إلا أن يتبدل ، وختمها سبحان الله ، فالقوانين ثابتة والحياة متواصلة.

تذكرت رسالته اليوم وأنا أعين ما يدور في هذا العالم من تفاعلات عنيفة وتداعيات مريرة ، وكأنها تخبرنا عن العدوانية الشرسة على الحياة ، حتى لنحسب أن الموت هو المنتصر ، وفي واقع المسيرة الأرضية أن الحياة منتصرة دوماً ، وأن الموت يلد الحياة مثلما تصنع الحياة الموت.

فالموت طاقة ولادة والحياة طاقة إبادة!!

وبين الولادة والإبادة تتحرك القوانين والتفاعلات ضمن معادلات كونية محكمة تحافظ على التوازن والبقاء المطلوب.

إن التوازن قانون منضبط لا يمكن الإخلال به ، ومهما توهمنا فإنه يفرض إرادته ويرسم مصير الموجودات ، وما دما في وعاء دوّار يأبى أن يندثر ويتمزق ، ويمتلك قوة وقدرات بقائية محكمة بطاقات تجاذبية وتنافرية متعادلة مع غيرها من القوى الكونية ، فإن هذا الوعاء لا يسمح بالإنطفاح ، وعليه أن يتخلص مما زاد عن قدرات إحتوائه وضرورات بقائه ، ولهذا تجدنا في محنة الحروب والصراعات والتفاعلات الإقتتالية المتزايدة ، بما تدفع به من إنتاجية عالية لآلات الدمار والقتل الشامل للموجودات الأرضية التي عليها أن لا تبقى على حالها ، ومن اللازم تغييرها وإعادة تصنيعها والإنطلاق في فضاءات أخرى مغايرة.

فلا بناء يبقى على حاله ، ولا مدينة أو قرية ولا مجتمع ولا أي حالة ، وإنما كل ما فوق التراب يخضع لقوانين التراب ، وهو في معترك الإبتلاع والإنبثاق ، والتجدد الحتمي والعودة إلى مفردات عناصره الأولية ، التي تتخلق بحالة جديدة ذات خبرات وقدرات تعبيرية أكبر وأعد ، لتتفق مع ما تكتسبه الأرض من خبرات تواجدية ذات تفاعلية عالية المنطلقات والتطلعات.

ففي واقع المسيرة الأرضية أن الحياة منتصرة دوماً ، وأن الموت يلد الحياة مثلما تصنع الحياة الموت.

بين الولادة والإبادة تتحرك القوانين والتفاعلات ضمن معادلات كونية محكمة تحافظ على التوازن والبقاء المطلوب

ما دما في وعاء دوّار يأبى أن يندثر ويتمزق ، ويمتلك قوة وقدرات بقائية محكمة بطاقات تجاذبية وتنافرية متعادلة مع غيرها من القوى الكونية ، فإن هذا الوعاء لا يسمح بالإنطفاح ، وعليه أن يتخلص مما زاد عن قدرات إحتوائه وضرورات بقائه

لا بناء يبقى على حاله ، ولا مدينة أو قرية ولا مجتمع ولا أي حالة ، وإنما كل ما فوق التراب يخضع لقوانين التراب

حياة اليوم تختلف تماماً عن حياة البارحة ، لكنها تعيد تصنيع الأيام بمفرداتها التي تحولت إلى صيرورة جديدة ذات دور آخر ونهايات بعيدة

هكذا فإن ما يجري في العديد من المجتمعات هو تمويه

فحياة اليوم تختلف تماما عن حياة البارحة , لكنها تعيد تصنيع الأيام بمفرداتها التي تحولت إلى صيرورة جديدة ذات دور آخر وغايات بعيدة.

وهكذا فإن ما يجري في العديد من المجتمعات هو تمويت وتوليد , إخماد وإطلاق , ومحتدات لتفاعلات تنادي بغدٍ آخر وأيام لا تعرف سابقاتها ولا تمت بصلة إليها , وإنما تكونت من تناثر مفرداتها العديدة المتحركة بعشوائية تبحث عن نظام إلى حين.

فهل ولدنا لنموت أم نموت لنولد!!؟

## سادسا: الحياة مؤامرة!!

التأمر سلوك بشري معروف منذ الأزل , ولا جديد في الموضوع إلا أن العرب يحسبونه سلوكا مُعدًا ضدهم , والمتسبب في ويلاتهم وتداعيات حاضرم وضياح مستقبلهم , وما تساءلوا يوما كيف يتآمرون للوصول إلى أهدافهم!!

المؤامرة سلوك ما بين الدول والمجتمعات والفئات والأفراد , يهدف إلى تحقيق مصلحة وتدمير أخرى وإستهداف عدوّ , فهي في حقيقتها سلوك دفاعي وهجومي في غاب التفاعلات الدولية.

والمؤامرة أحد مرتكزات قوانين الغاب , فالأسود تتآمر للإيقاع بفرائسها , وكذلك كل قوي مفترس , والحروب معروفة بآليات التأمر من أجل كسبها , لكن العرب ما أعجبهم وأغريهم , عندما يصرحون بأن سبب كل علة ومصيبة هو المؤامرة , وأنهم الأبرياء المطهرون من الدور والمساهمة في الويلات.

المؤامرة تتطور وتتعدّد وفقا لمعطيات العصور , والعرب لا يزالون في أمية تأمرية مدقعة , فهم ما تآمروا يوما بذكاء ودهاء من أجل مصالحهم , وإنما يفعلونها كما تفعل الخرفان في تأمرها على الذئب , بأن تحيطها لتوفر الفرض الثمينة لإفتراسها , أو أن العرب يجلبون مفترسهم إلى ديارهم على أن يحميهم من أحيهم الذي يحيط به مفترس.

فالعيب ليس في المؤامرة وإنما في الذين يحسبونها عدوانا , وكأنهم لا يدركون أن علاقات الدول لا تخلو من التأمر والنشاطات الكفيلة بتأمين المصالح والوصول للأهداف.

والأقوياء يتآمرون ويحققون ما يريدون بالتأمر , والضعفاء يتوجعون ويتأوهون ويلعنون المؤامرة!!

فهل آن الأوان وتؤكد للعرب أن عليهم مغادرة هذا النهج المريض , وإدراك حقائق الحياة ومؤثراتها وعناصرها الفعالة , التي عليهم أن يتعلموا آليات وتسخيرها لصالحهم , وأن يجابهوا المؤامرة بالمؤامرة فيهربون أعداءهم , بدل الخنوع والتشكي الذي يمنح المتآمرين ألف فرصة وفرصة للإمعان في مؤامراتهم , لأنها أسهل الطرق للوصول إلى الأهداف.

فموضوع المؤامرة والتأمر آلية إنغرست في الوعي العربي السياسي وأسهمت بتدمير الحياة , وفشل العرب في الوصول إلى صياغة عقد إجتماعي نافع ومتصل بقدرات إنجاز أهدافهم , وتأمين حاضر ومستقبل أجيالهم التي أصبحت على حافات الضياع والغياب المرير.

وتوليد , إخماد وإطلاق , ومحتدات لتفاعلات تنادي بغدٍ آخر وأيام لا تعرف سابقاتها ولا تمت بصلة إليها

التأمر سلوك بشري معروف منذ الأزل , ولا جديد في الموضوع إلا أن العرب يحسبونه سلوكا مُعدًا ضدهم

المؤامرة سلوك ما بين الدول والمجتمعات والفئات والأفراد , يهدف إلى تحقيق مصلحة وتدمير أخرى وإستهداف عدوّ

المؤامرة تتطور وتتعدّد وفقا لمعطيات العصور , والعرب لا يزالون في أمية تأمرية مدقعة , فهم ما تآمروا يوما بذكاء ودهاء من أجل مصالحهم

أن العرب يجلبون مفترسهم إلى ديارهم على أن يحميهم من أحيهم الذي يحيط به مفترس.

الأقوياء يتآمرون ويحققون ما يريدون بالتأمر , والضعفاء يتوجعون ويتأوهون ويلعنون المؤامرة!!

هل آن الأوان وتؤكد للعرب أن عليهم مغادرة هذا النهج المريض , وإدراك حقائق الحياة ومؤثراتها وعناصرها الفعالة , التي عليهم أن يتعلموا آليات وتفعيلها وتسخيرها لصالحهم , وأن يجابهوا المؤامرة بالمؤامرة فيهربون أعداءهم

من الضروري أن يركز العرب على مناهج معاصرة تحفزهم على التعاطي مع التحديات القائمة , بإرادة علمية بحثية حقائقية تؤدي لنتائج إيجابية توقد في

ومن الضروري أن يركز العرب على مناهج معاصرة تحفزهم على التعاطي مع التحديات القائمة ،  
بإرادة علمية بحثية حقائقية تؤدي لنتائج إيجابية توحد في الأجيال طاقات الكينونة والصيرورة الأرقى ،  
وتعيد الثقة وتجدد العزيمة وتبني الإرادة المتفككة مع ما في الأجيال من طاقات وتطلعات حضارية.

فلنتأمر جميعا من أجل مصالحننا ونكون أعوانا لبعضنا لكي نحبط مؤامرات الآخرين ، فالحياة مؤامرة ،  
ومن يتوهمها غير ذلك ، فإنه يتأمر على ذاته وموضوعه ويحسب من الغافلين!!

## سابعاً: ركبة الحياة!!

### "السرعة مبعث التقدم"

الدنيا تركز بأقصى سرعتها في جميع الميادين، ونرى ذلك واضحا في عصر المعلومات الفياضة  
المتدفقة بسرعة الضوء وربما ستسبقه في المستقبل القريب.

ويتضح ذلك في ميدان علوم الكمبيوتر وأنظمتها وتطورها الذي يسابق الخيال ، فنحن نعيش في  
عصر السرعة وزمن الإبداع الإنساني المطلق، وأجيال هذا القرن أعظم حضا من أجيال القرن الماضي،  
لأنها أصبحت مغمورة بما يتفوق على الخيال بكثير جدا، وكأنها تتفاعل مع حياة أسطورية بالقياس إلى  
أجدادنا الذين كانوا يسيرون بأقصى سرعة الحصان والبعير.

وفي عصر التدفق الثقافي والفكري المتعاطم، لا بد للأمم الحية أن تتواكب وتتفاعل من أجل أن  
تكون، وتجد لها موطئ قدم في دروب الحضارة والإرتقاء الإنساني، ولا يمكن لأية أمة أن تكون إذا  
سقطت في مستنقعات الإجتار والسكون ونبش قبور الأجداث. فالحياة في القرن الحالي لا تسمح للقبور  
أن تعيش بين الأحياء، ولا للمجترين وأصحاب العقول المهترئة الذين يلوكون علكة الماضي ولا يفهمون.

فالحياة تركز وتتطلق نحو الأيام بتفاعل جميع الطاقات المشاركة في صيرورتها ، ولا يمكن لهذه  
الإنطلاقة أن تهدأ أو تتباطأ وإنما هي في تنامي مطلق.

والأمم المتقدمة الصاعدة إلى ما بعد المجد الحضاري، تشد هم أبنائها وتحثهم على زيادة زخم  
العطاء وإندفاع المسير الإبداعي نحو ذروته القصوى ومدياته الكبرى، لكي تستثمر أفكارهم في بناء أمجاد  
الحاضر والمستقبل الأقوى السعيد.

وتسعى بأعظم ما فيها لتفجير طاقات الإنسان وتنوير أعماقه ، لكي يحقق إنتاجا ثقافيا يرفد الأيام بما  
يساهم في زيادة مساحة النور والوعي، ولا تجد فيها من يحارب الإبداع ويمنع المبدعين أو يأخذ عليهم  
سرعة التفاعل وكم الإنتاج.

بل العكس هو الذي يسود، وخلصته أن هيا أكتبوا، وكيف تؤولف كتابا أو تكون كاتباً ، إضافة إلى  
ما لا يحصى من الإغراءات والتسهيلات والمحفزات اللازمة لتشجيع الإنسان على الكتابة وحبها وإتخاذها  
طريقا لبناء الحياة.

لنتأمر جميعا من أجل مصالحننا  
ونكون أعوانا لبعضنا لكي نحبط  
مؤامرات الآخرين ، فالحياة  
مؤامرة ، ومن يتوهمها غير  
ذلك ، فإنه يتأمر على ذاته  
وموضوعه ويحسب من  
الغافلين!!

الدنيا تركز بأقصى سرعتها  
في جميع الميادين، ونرى ذلك  
واضحا في عصر المعلومات  
الفياضة المتدفقة بسرعة الضوء  
وربما ستسبقه في المستقبل  
القريب

في عصر التدفق الثقافي  
والفكري المتعاطم، لا بد للأمم  
الحية أن تتواكب وتتفاعل من  
أجل أن تكون، وتجد لها موطئ  
قدم في دروب الحضارة  
والإرتقاء الإنساني

لا يمكن لأية أمة أن تكون إذا  
سقطت في مستنقعات الإجتار  
والسكون ونبش قبور الأجداث

الأمم المتقدمة الصاعدة إلى ما  
بعد المجد الحضاري، تشد هم  
أبنائها وتحثهم على زيادة زخم  
العطاء وإندفاع المسير  
الإبداعي نحو ذروته القصوى  
ومدياته الكبرى

تسعى الأمم المتقدمة بأعظم ما  
فيها لتفجير طاقات الإنسان  
وتنوير أعماقه ، لكي يحقق  
إنتاجا ثقافيا يرفد الأيام بما  
يساهم في زيادة مساحة النور  
والوعي

وهذا يكون جليا ومتحققا في أية أمة متقدمة حية في الأرض , أما الأمم الخاوية على عروشها والضائعة في وديان البهتان والإحباط واليأس , والغارقة في الدموع واللطم على الأجداث والغوص في قبور السالفين، فأنها لا تريد أن تمارس الحياة وتستلطف العويل والبكاء والويلات والآلام والخنوع , وتثمير الأحران وتسيّد الجهل والظلم وعبادة الكراسي وتأليه الطغيان.

هذه الأمم ذات وجود منقرض في عصرنا المشرق الذي ينطلق بأفكاره إلى أكوام الوجود الأخرى ويريد أن يفهم كنه الصيرورة والبقاء، ومعنى أن يكون البشر فوق الأرض وما هي أحوال الموجودات في كواكب أخرى من هذا الكون الشاسع العجيب.

أم تدين بالفكرة وقوتها وقدرتها على إنارة دروب الحياة، وأم تحرق في القبور وتنبش التراب بحثا عن الوهم وسعيا وراء الخراب والتجهيل والتضليل، باسم الأفكار الخلاقة التي لا تعرفها وتجهل جواهرها وتمسك بقشورها، وتقتات على فتات المرائين والدجالين والمنتسبين لأبليس السوء وعفاريت البهتان.

، وتتوقى منها وتخشى على ضلالها من الهلاك.

ولهذا فهي تميل إلى أن تسير بسرعة السلحفاة أو أبطأ، وكأنها جبال عاتية تريد الحركة على أرجل نملة، وهذا يدفع بها إلى توفير أسباب السكون والإندحار والخروج من مسيرة الوجود، والتوطن في شرنقة خيبتها ودمار حاضرها وخرابه , وإحراق مستقبلها وتحويله إلى رماد.

وقد سخّرت هذه الأمم عناصر بشرية تساهم في تأكيد السكون وترسيخ إرادة الموت والفناء والانتهاة في حاضرها.

ولذلك فأنت تقرأ للكثير من كتابها ما يؤسس لهذا البقاء المقيم في بطون الأجداث , وتوفير مسوغات عدم الخروج من قبضتها والرقود في وهدة العدم.

ولهذا أيضا أصبحت الكتابة السريعة في مواطنها عيبا وسبباً , وأنتجت عقولا تدين بفلسفة السكون والإنقراض السعيد، لأنها تريد الحياة الأخرى ولا تعير إهتماما للحياة الدنيا.

ولكن عليها أن تستيقظ وتعي، بأنها يجب أن تخطو بسرعة العصر رغما عنها، فلا يمكن لأمة أن تكون إن لم تثور على أسباب التناقل والتباطؤ والسكون , وأن تنفجر فيها طاقات العقول وتركض الأقدام متسارعة وراء الأفكار المهمة التي تحقق الوجود المتطور.

### ثامنا: فقدان حب الحياة!!

الخطاب السائد على المنابر وفي وسائل الإعلام , وحتى في المواقع والصحف وما تجود به الأعلام , يمكن تلخيصه بغياب حب الحياة وحضور حب الموت.

الخطاب الديني موتي!!

الخطاب السياسي مفعم بالموت!!

الخطاب الإعلامي مميت!!

الأعلام تكتب بمداد التكريه بالحياة وتحبيب الموت!!

أما الأمم الخاوية على عروشها والضائعة في وديان البهتان والإحباط واليأس , والغارقة في الدموع واللطم على الأجداث والغوص في قبور السالفين، فأنها لا تريد أن تمارس الحياة وتستلطف العويل والبكاء والويلات والآلام والخنوع

أهم تدين بالفكرة وقوتها وقدرتها على إنارة دروب الحياة، وأم تحرق في القبور وتنبش التراب بحثا عن الوهم وسعيا وراء الخراب والتجهيل والتضليل

هذه الأمم الترابية النباشة الدامعة الحزينة الناخرة لحاضرها ومستقبلها والباقية على ماضيها وسوالفها عهدها، إنما هي أهم تعيش في القبور ولا تستطيع أن تستوعب الحركة تحت الشمس المعاصرة الساطعة

لا يمكن لأمة أن تكون إن لم تثور على أسباب التناقل والتباطؤ والسكون , وأن تنفجر فيها طاقات العقول وتركض الأقدام متسارعة وراء الأفكار المهمة التي تحقق الوجود الإنساني المتطور

الفهم المنحرف للدين , الذي يعلمنا ومنذ الطفولة , أن لا جدوى من الدنيا وأنها فانية , وأننا لن نأخذ شيئا معنا , وجنابها نصرخ وبأيادي مقبوضة وسنغادرها بصمت وبأيادي مبسوطة

هذا هو الخطاب التخديري التعبيزي التنويمي التذنيطي التفتيطي التهويمي التضميدي

التنكيدي والتدميري ، هو الذي يجعل فعله في الواقع العربي والمجتمعات المسلمة

كأن الغاية من الخطاب القول بتحريم الحياة وتحليل الموت ، فنحن جننا إلى الدنيا دون خيارنا ، وأنها حملٌ ثقيلٌ علينا

الحياة لا تستحق العيش ، والخلص والنجاة في الموت ، أي أن الموت يصبح قيمة نبيلة سامية ، والحياة قيمة دونية وحقيرة

أن الخطاب المتكرر والمصمّم على وسائل الإعلام عبارة عن تكبير متواصل بالموت وتحقير للحياة والحط من قيمتها وأهميتها ومعناها ، ويتحقق ترجمته بسلوكيات معبرة عنه ، وفي هذا جوهر مأساة ومنبع ويلات متعاطمة

ومنبع هذا الإقتراب هو الخطاب الديني أو الفهم المنحرف للدين ، الذي يعلمنا ومنذ الطفولة ، أن لا جدوى من الدنيا وأنها فانية ، وأنا لن نأخذ شيئاً معنا ، وجئناها نصرخ وبأيادي مقبوضة وسنغادها بصمت وبأيادي مبسوطة ، وما نقوم به محض هراء وسذاجة وجهل ، فلا معنى للحياة والمعنى كله للموت ، لأن بعده حياة أخرى باقية أبدية فيها متع ما بعدها متع ، وسيجلس البشر في جناتها لا يقوم بعمل سوى التلذذ بالأطياب والإنغماس بالملذات.

هذا هو الخطاب التخديري التعجيزي التوبيخي التحنيطي التقنيطي التمويتي التنكيدي والتدميري ، هو الذي يفعل فعله في الواقع العربي والمجتمعات المسلمة ، وبموجبه يفقد العمل قيمته وكذلك الجد والإجتهاد والإبداع والإبتكار والإختراع ، وكل نشاط يساهم في بناء الحياة وتعزيز قيمة الدنيا والإنطلاق السعيد في آفاقها.

وكأن الغاية من الخطاب القول بتحريم الحياة وتحليل الموت ، فنحن جننا إلى الدنيا دون خيارنا ، وأنها حملٌ ثقيلٌ علينا ، وبدننا ضدنا وفيه من المحرمات ما يجعلنا في صراع معه وإندفاع للتخلص منه.

فالحياة لا تستحق العيش ، والخلص والنجاة في الموت ، أي أن الموت يصبح قيمة نبيلة سامية ، والحياة قيمة دونية وحقيرة ، لأنها موطن الوليات والتداعيات والإستلابات والخرابات والعناءات العاصفة في البشر ، الذي إن تمتع بشيء منها شعر بالذنب الشديد.

وبهذا فأن الخطاب المتكرر والمهيمن على وسائل الإعلام عبارة عن تكبير متواصل بالموت وتحقير للحياة والحط من قيمتها وأهميتها ومعناها ، ويتحقق ترجمته بسلوكيات معبرة عنه ، وفي هذا جوهر مأساة ومنبع ويلات متعاطمة.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa246-220719.pdf>

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa245-150719.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

\*\*\* \*\*

الكتاب السنوي 2019 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفيئ شمعتها الثامنة عشر من التأسيس وتدخل عامها السابع عشر على الوجود

18 عاما من الكد... 16 عاما من التواصل "

( التأسيس: 2000/01/01 - على الوجود: 2003/06/13 )

كامل الاصدار

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>